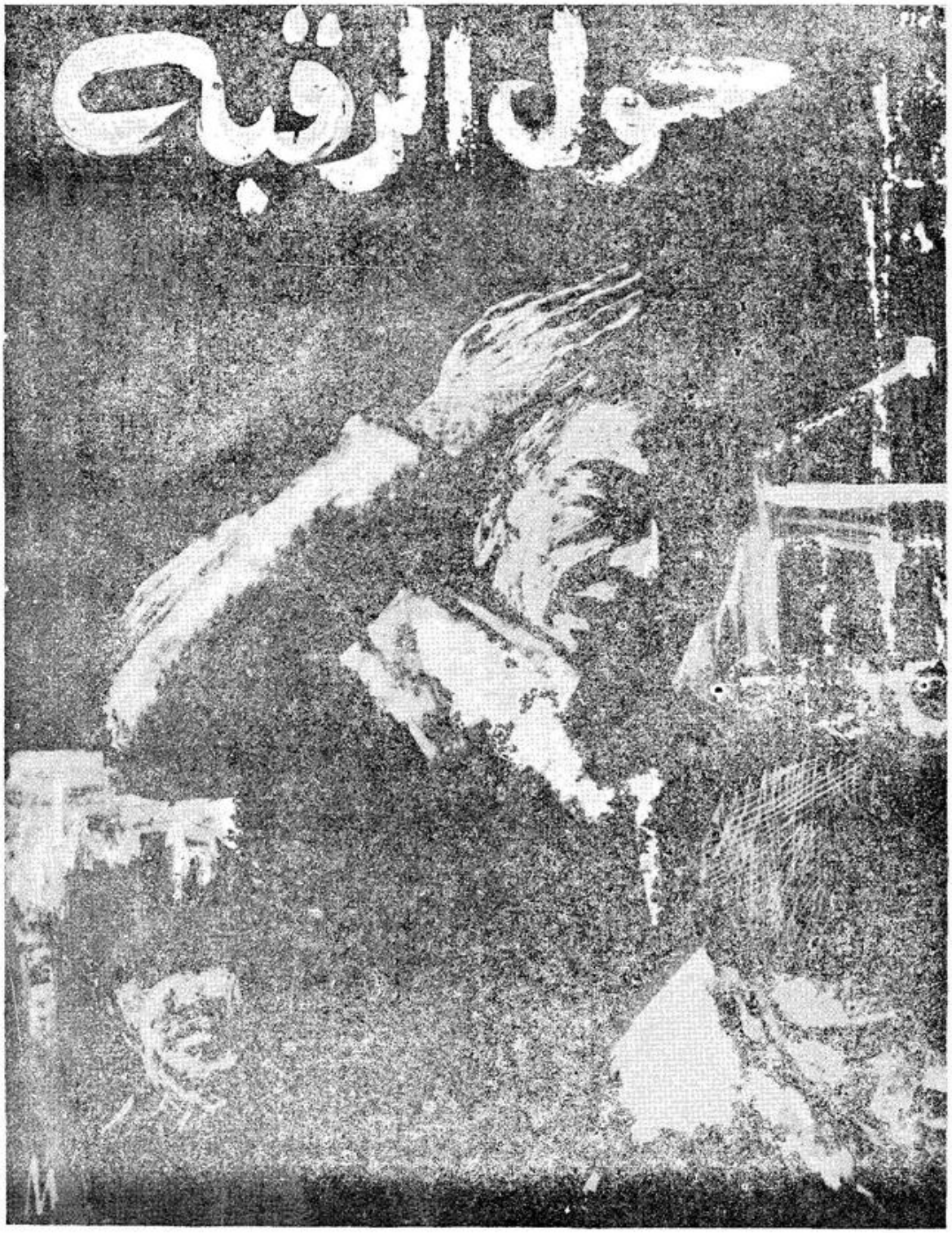
حول الرقبة

قصة : احمد هاشم الشريف

وجد نفسه عاجزا عن الحركة يتنفس بصعوبة وسط الزحام .. قلعة منهارة بين مدافع منصوبة .. فمن الذى جمع قطعة حلوة ودعى الذباب الى وليمة ؟ من الذى صوب المدافع الى القلعة المنهارة؟. وجذبته الأيدى من كل ناحية ، ولطمته الأكف بالغضب المطل من شرفات العيون، ونادته أصوات مختلطة ببعضها وكرر الصدى النداء ، فرفع رأسه كأنه راية التسليم ، كأنه **البناء** يتشقق قبل أن ينهار ، وأراد أن يسأل الجموع عن سر غضبها عليه ، عن السخط المتحرك مع الايدى والاصوات ، ولما فشل فى ذلك كان يود لو تحداهم بابتسامة هادئة . ان عملا بسيطا كهذا يدهشهم ويخيفهم بل ويروعهم. وجد كل شىء يدور حوله كأنه فى حلم ، ورأى أشخاصا كان يعرفهم بمجرد سماع أصواتهم وماتوا من مدة كبيرة وضاعت ملامحهم ، كانوا مزعجين وقساة ، كانوا وحوشا ، وحسب أن الزمن محاهم من الذاكرة وطوى سيرتهم فى الاكفان ، ولكن ها هم يعودون ..

حملوه الى قاعة محكمة ووضعوه وراء القضبان .

لم يبق له سوى أن يتأمل الحاضرين، آذانهم شرك منصوب ينتظر حركة شفتية ، عيونهم سطح لامع يخفى تحته **البئر المعتم ، عيونهم عميقة كالصمت** ، يتمشى بين الاركان ثم يستريح فوق الرءوس وصوته طائر كسيح يجرب جناحية فينتابه الاخفاق ويحط على الأرض ، فهل يطبق الفخ على فمه اذا تكلم ؟ ولماذا لم تسقط اللافتة على رأس

القاضى وهو ينطق بالحكم ؟ وهل صاح الحراس لانهاء الجلسة أم فزعا من الصمت الذى ساد القاعة ؟ وسمع صوت زوجة جاره فى العمارة كانت تبكى بمرارة وهى تقول له : أنت برىء ·· أنت برىء ·· فاستيقظ من نومه وهو يحس بصداع فى رأسه ·· كان الظلام يغمر كل شىء، والساعة تدق مرتين ، وكالعادة سمع صرير المفاتيح وهى تدور فى الأقفال ، وسعال السكارى العائدين يسير بجانب وقع خطواتهم المتباعد ، ولما سمع صياح الديكة رفع الغطاء عن رأسه ، رفعه بقوة ، وجلس على فراشه وهو يقول لنفسه : ليس هنا ديكة ·· وضحك من براعة الوهم وقدرته فى التسلط على حواسه ، ثم استأنف حديثه مع نفسه : انها أحلام الطفولة تراود ذهنى وتلح على الذاكرة ·· ليس هنا ديكة ··

ونهض فأشعل النور وراح يتمشى فى الحجرة ·· ما معنى أن يطارده الكابوس ثلاث ليال ؟ ما معنى أن يدينه الناس وهو برىء ؟

سمع باب الشقة المجاور له يتحرك، ثم يتوقف مصغيا لوقع خطوات الزوج وهو يدخل ،ثم يعود الى الحركة بعنف من استجاب لنزوة طارئة ، وحدث اصطدام عنيف قبل أن يسود الصمت، دائما فى النهاية يسود الصمت · ثلاثة أيام وأنا ألازم هذه الحجرة ، أصغى لصرير المفاتيح فى الاقفال ، والسعال الممزق تحت وقع الأقدام ، وصياح الديكة المزعوم ، واستجابة الأبواب لوقع الخطوات الليلية التى لا ظل لها ، ثلاثة أيام ؟

اذكر آخر مرة نزلت فيها الشارع قابلنى جارى عند الباب الخارجى للعمارة وبادرنى قائلا: ثبت لدى بالدليل القاطع وبعد مراجعة نفسى أنى أجرمت فى حق زوجتى ، أنت تعرف زوجتى ، واذا لم تكن رأيتها فلا بد أنك سمعت صوتها ، وحين يسمع الانسان صوت انسان آخر يعرفه على الفور، وهى معذورة فيما فعلته معى ، ربما سمعت شجارنا أو بعضا منه ، وربما سمعت صوت أطباق وهى تتحطم ، وأنت من النوع الذى يسهر كما أعتقد ، وليس هناك عمل يشغلك ، فمن البديهى أن تهتم بأمور جيرانك ، من البديهى أن يحدث ذلك ، فلتسمع اذن ما حدث لتحكم ·· دخلت عليها المطبخ، وكانت منهمكة فى تحريك الملعقة على النار ، لم تشعر بوقع خطاى لأنى أسير بحذر كما تعلم ، فى أغلب الاحيان وخاصة بالليل · وقفت أتأملها بعض الوقت حتى تنبهت لوجودى ، وعندئذ ابتسمت فى وداعة ، ولك أن تسألنى ، أى شيطان وسوس فى أذنى قائلا : **اسرق الاطمئنان من قلبها ، روعها حتى تنجو من بلادة الحس · · وهكذا حكيت لها ماشاهدته فى السينما،** رواية خنق فيها الزوج زوجته أثناء نومها ، خنقها بخطة محكمة وبعد تدبير، كانت رواية بشعة ، ارتاعت فى نهايتها وقاطعتنى قائلة : **لا تحك لى شيئا من ذلك مرة** أخرى ·· وتركتنى وحيدا فى المطبخ قبل أن أكمل حديثى معها ، تركتنى وهى تمسك جبهتها بيدها اليمنى بعد أن سقطت الملعقة منها واستمرت تقول : بشرفى ·· أقسم بشرفى أنت تتعمد ايلامى ·· لا تحك لى شيئا من ذلك مرة أخرى ·· وكان صوتها برغم بعد المسافة بيننا يخرج من

حجرة النـوم ويعبر الصـالة ثم يدخل المطبخ ببطء ولكن فى قوة ..

وطاردته لسعةالبرد فلجأ الىالفراش، أحس بنعمة الدفء وخدر بسيط يتمشى فى ساقيه ، فهل يترك النوم يغلبه مرة أخرى ويسلمه وليمة للكابوس ؟

سقطت ملعقة أو سكينة على الأرض فى الشقة المجـاورة ، واحتكت أطباق ببعضها لـكنها لم تسقط على الارض ، وتلا ذلك نقـاش بين الزوجين ، سمع الزوج يقول لزوجته : أنا لا أنكر تأثير الافلام البوليسية على أعصابى ، كما لا أنكر ادمانى للقراءة ، والقراءة تخلق فى صاحبها حالات نفسية معينة قد يعتبرها البعض مرضا ، ولكن كيف تتصورين أنىأخنقك أثناء نومك..كيف تتصورين مجرد تفكيرى فى ذلك ؟ وكانت الزوجة تبكى بمرارة وتتوسل اليه أن يكف عن تعذيبها بالافكار الغريبة والكلام الجارح، وتطلب منه أن ينام أولا حتى تطمئن هى الى النوم بعـد ذلك .. كان شـيئا مضحكا أن ينتظر كل منهما نوم الآخر فى كل ليلة ..

وفى صباح اليوم التالى داس بقدمه على شىء وهو يهبط السلم ، كان السلم معتما ، ومن عادته ألا يهتم بالنظر الى شىء داس عليه ، ولكن الجو المعتم أثار فضوله فانحنى وأشعل عود ثقاب ليرى كل شىء بوضوح .. كانت هناك على طرف الـدرجة قطـة نائمة على الجنب والحبل يتدلى من رقبتها .. والاحشاء تطل من البطن وتكاد تسقط على الدرجة التالية ، كانت ميتة رغم أن فمها مفتوح ولم تكن تموء بطبيعة الحال ، ولو أنها فعلت ذلك لما اعتقد أنها حية ..

وأسرع يهبـط السلم بمجرد انطفاء عود الثقاب ، بمجرد عودة العتمة أشد مما كانت عليه، أحس أنه يطارد مخاوفا كادت تغلبه ، مخاوفا من نوع خاص ، لو تجسـدت أمامه فى تلك اللحظـة وانتصبت واقفة وصمدت ، لما أستطاع أن يتغلب عليها ..

ولاحظ ارتباكه رجل رآه للمرة الأولى عند نهاية السلم، تقدم اليه وهو يبتسم فى خجل ، وسأله عن ضـابط بوليس يسـكن فى الطابق الثـالث ، لاحظ أن ربطة عنقهغير موضوعة باحكام، ثم عجب لأنه اهتم بربطة العنق دون سـواها ، ولما أخبره بعدم وجود ضـباط بوليس بين سـكان العمـارة ، اعتـذر قائلا وابتسـامته الخجـولة تزداد اتسـاعا : سأبحث عن الشـقة بنفسى لأن البواب نائم .. عند الباب الخـارجى توقف وراح يسعل بقوة حتى استيقظ البواب، وأخذ يسـعل هو الآخر فيما يشـبه الاحتجاج ، وسمع صوت زوجة البواب وهى تطلب من زوجها أن يبقى،لكنه أصر على الخـروج رغـم الحـاحها على بقائه بجوارها .. كان الاجهاد باديا على وجه البواب وهو يتكلم ..

لعل صوته واشارة يديه خير دليل على ذلك ، قال له : « **اننى مازلت أبحث عن عمل مناسب فى زحمة هذه المدينة**»، فسعل البواب وهو يكرر «**عملمناسب**»، ثم راح يشكو من نزيف فى أنفه استمر معه أغلب الليل وانقطع بعد مشـقة ، وبدا الدم واضـحا فوق شـاربه وعلى خديه وفى أطراف أصابع اليدين ، كان كل شىء يقول لمن يراه أنه مجهد ، ورغم ذلك عاد الى زوجته وأغلق باب غرفته،

وسمعها تقول له فى صوت منخفض : **انت تخلع المنديل من رأسى رغم تحذيرى ٠٠ فى كل مرة تخلع المنديل من رأسى٠**

تقدم خطوة نحو الباب الخارجى ٠٠

انه يعرف بالتقريب ما يحدث فى الشارع الآن ، بعد انقطاع ثلاثة أيام قضاها منعزلا فى شقته ، يعرف الزحام فى ميدان العتبة قريبا منه ، زحام العربات فى وسط الشارع وزحام الناس على الارصفة ، وعندما بدأ خطواته الأولى، سمع شخصا يسير محدثا آخر قائلا : **فى هذه الحالة أبلغ البوليس٠٠** واستقل الترام من ميدان العتبة بلا هدف سوى رغبته فى اكتشاف المدينة بعد انقطاعه عنها ، وكان واقفا فاستطاع أن يشاهد أقدام العابرين فى شارع كلوت وأن يشاهد أطراف ثيابهم، داست قدم عقب سيجارة مشتعل وظلت تسحقه فشعر بهدوء وزال عنه الاضطراب ، وتمنى لو أبطأ الترام قليلا ، لو توقف ثم سار ثم توقف ، ليتابع الصور التى تمر تحت عينيه ويحاول تركيز أفكاره ، لماذا كرر البواب عبارة « **عمل مناسب** » ، ولماذا لم يسلمه أى خطاب ؟

وجاء المحصل ودخل فى نقاش مع أحد الركاب حول دفع ثمن التذكرة ، وتطور الأمر بينهما ، واكتسب مظهرا حادا ، كانا يقفان بجانبه ، ينظران اليه ويحاول كل منهما أن يثبت له خطأ اخر ، ولم يكن هناك جدوى من وراء ذلك لأن كلا منهما ، بحسب كلامه ومنطقه ، كان غير مخطىء ٠٠ فشغل نفسه بتأمل فم المحصل ، كان كبيرا ومتورما من أثر النفخ فى الصفارة طول النهار ، وأمسك الراكب برقبة المحصل وحاول أن يخنقه فصرخ الركاب جميعا وتوقف الترام ، كانت حوادث الخنق تثير دهشتهم كما بدا له ، وماعدا ذلك لا يستحق فى نظرهم الاهتمام ، وجاء السائق وهو يمسك فى يده مفتاحا حديديا ، مفتاحا مرتعشا لأن يده كانت ترتعش أيضا ، ويقول للركاب من خلال ابتسامة غريبة على فمه : انى أقصد **تخويفهم فقط ٠٠ آه ٠٠ تخويفهم فقط،** وأهوى بالمفتاح الحديد على رأس الراكب فترك عنق المحصل، والتفت الى السائق، ثم حاول الاستناد على الركاب فتراجعوا مذعورين ، وتركوه يسقط بين المقاعد٠

دخل مقهى فى شارع كلوت وطلب من الجرسون كوب ماء ، ولكن الجرسون كان منشغلا فى تلبية طلبات الآخرين فتمالك نفسه وقام الى الصنبور وأخذ يغسل نقط الدم العالقة بالقميص ٠

كان وراءه اثنان يلعبان الطاولة ، ثم توقفا عن اللعب عند مروره أمامهم ، وقال أحدهما : خسرنا الدور وجاءت سيدة سمينة لطخت وجهها بالاصباغ ووقفت بجانبه ثم سألته باللامبالاة :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ نقط دم على القميص ٠٠ كانت هناك مشاجرة ٠٠ والنتيجة كما ترين نقط دم على القميص ٠٠

ـ هل تشاجرت أنت ؟

ـ لا ٠٠ لست أنا الذى تشاجر ٠٠

فأولته ظهرها وهى تضحك وتقول محاولة تقليد صوته : لست أنا الذى تشاجر ٠٠ ولكن النتيجة نقط دم على القميص ٠٠ واستمرت تقلد صوته وتضحك حتى شعر بضيق ٠٠ ولكنه

سمع أقراص الطاولة تتحرك فى أيدى اللاعبين ، وقال نفس الصوت السابق: سنبدأ الدور من جديد ..

وحين خرج من المقهى وجد الجموع فى انتظاره ..

لم تكن عربة الاسعاف قد وصلت بعد ، ويبدو أن الصف الطويل من عربات الترام المعطلة ، كان لها دخل فى تأخير نقل الراكب المصاب ، وكان السائق قد احتمى بزملائه فأغلقوا عليه احدى عربات الترام وظلوا ينتظرون مجيء البوليس ، كان السائق مضروبا بلا شك ، ولم يكن معروفا من الذى ضربه ، ولكن المعروف أنه ضرب الراكب بالمفتاح الحديد على رأسه، وكان السائقون والمحصلون قد تجمعوا هم أيضا وبدأوا يتكلمون ، اذن فالأفواه تتورم أيضا وتتضخم من كثرة الكلام لا من مجرد النفخ فى الصفارة طول النهار ، رأى المحصل يقف فى وسطهم وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه ، يصرخ كأن الخطر ما زال يحيط به حتى الآن :

ـ فى البداية حاول خنقى .. وجدت صدرى يضيق عندما حاول خنقى .. وكان يقول لى وأصابعه تحيط عنقى .. انت لا ينبغى أن تعيش لأنك بليد الحس كحيوان .. لا ينبغى أن تعيش .. سأخنقك كقطة وأرميك فوق كوم زبالة .

وتزايد الزحام حين جاءت عربة الاسعاف ، فتحرك مبتعدا عن المقهى حتى لايطويه الزحام ، كان يحدث نفسه قائلا : ماذا يفعل الانسان اذا حاول آخر خنقه وهو نائم ؟ هل يمكنه الدفاع

ضابط البوليس ، ثم الابتسامة الغريبة وهو نائم ؟

وسخر من نفسه لأن هذه الاسئلة طافت بخياله، وتذكر الابتسامة الخجولة التى قابلته عند نهاية السلم قبل الباب الخارجى للعمارة ، وصاحبها يسأله عن التى أهوى السائق بعدها بالمفتاح الحديد على رأس الراكب ، من السهل أن يلفقوا له الجريمة ببساطة ، وما على الزوج الا أن يخنق زوجته بالفعل ، ويصعدالبواب الى الشقة ويطرق الباب ، ويبدأ المحقق استجوابه بسؤال هادىء : متى بدأت صلتك بالزوجة القتيل وما مدى صداقتك لزوجها ؟ ولماذا بقيت فى شقتك ثلاثة أيام ، ومن الطبيعى أن يتنبه المحقق الى نقط الدم التى علقت بقميصه ، وتأتى السيدة السمينة لتقلد صوته وهو يقول : ولكن هناك لست أنا الذى تشاجر ٠٠ ولكن هناك دم على القميص ٠٠

واستمر يحدث نفسه ٠٠ ان زوجة جارى جميلة بلا شك ، جميلة كالعذارى فى أحلام المراهقين ولا أنكر أنى رأيتها فى يوم ، ثم اشتهيتها فى يوم آخر بل وفكرت فى حمايتها من ذلك الزوج المجنون وحين وصلت الى هذه النقطة من التفكير ، بدأت اكره جارى ، وواجهت نفسى بهذه الحقيقة التى لا مفر منها ، عندما قابلنى للمرة الثانية فى نفس اليوم وحدثنى قائلا :

ـ اصغ الى ، انى لم أرو لك الحوادث كما هى بل كنت أتوهم ، لم تكن زوجتى فى المطبخ ، لم تكن هناك على الاطلاق ، فمن الذى يطبخ فى الساعة الثانية صباحا ، ولم أكن دخلت فيلما كما تظن وانما قرأت قصة فرنسية عن شخص أراد أن يقلد البطل الذى أحرق معبد ديانا ، وبقيت شهرته تتردد فى التاريخ وعلى الألسنة ، رغم أن أحدا لم يعد يذكر المهندس الذى صمم المعبدولاالذين بنوه ، لم أكن قرأت القصة حتى النهاية استقال البطل العصرى من عمله واشترى مسدسا ليقتل به الناس فى الطرقات٠٠ كان يريد أن يراهم مندهشين فاغرى الأفواه ، وهم يسقطون ، كان يريد أن يقتل الغباء والتبلد فيهم ٠٠ وأنت تعرف زوجتى ، تعرف أنها طيبة ومطيعة ، ولكنها كسولة فى الوقت نفسه ، كسولة الى الحد الذى لا يحتمل ، أو هكذا تبدو لى ، وهى معذورة كما قلت لك من قبل لأن الحياة الزوجية مملة ورتيبة ، ولأنها لاتعمل ولا تخرج كثيرا بل تلازم البيت ، ومن يلازم البيت لابد أن يكون ضيق الأفق ، مهما كان استعداده الطبيعى للذكاء ، هذه بديهيات أنت تعلمها ٠٠ دخلت عليها حجرة النوم فى تلك الليلة ولمست عنقها بأصابع يدى هذه ٠٠ وقصدى من ذلك مداعبتها ٠٠ فهبت من نومها صارخة كأنها تهرب من كابوس يطاردها .وقالت لى أنى أكرهها وأحاول قتلها ٠٠ وأنها رأتنى أخلع المنديل من رأس زوجة البواب وأنا أغازلها ٠٠ تصور أنى أغازل زوجة البواب ؟ كانت تتكلم كثيرا بلا وعى منها ، كانت تهذى ثم راحت تبكى دون انقطاع ٠٠ وبقيت أحاول تهدئة روعها وتبديد مخاوفها حتى نامت على ذراعى ٠٠ وعندئذ كان فى امكانى أن أخنقها ، والخنق عملية سهلة كما تعلم ولكن النتيجة مختلفة٠٠ وشعرت بأنى أدهشتها وروعتها بما فيه الكفاية وكان البطل العصرى يخشى مطاردة الناس بعد اطلاق الرصاص ٠٠ يخشى أن يفقأوا له عينيه ويحطمون أسنانه ٠٠ ولهذا تردد قبل أن يبدأ التنفيذ ٠٠

وبقى حتى المغرب ينتقل من مكان الى آخر بدون هدف ، وقابله صديق قديم فصافحه بقوة ثم بادره بالسؤال : ـ **ما زلت حتى الآن بدون عمل ؟**

ـ انى ابحث عن عمل مناسب ٠٠ فانا ضعيف الجسم كما ترى ٠٠ ضعيف الى الحد الذى لايسمح بالارهاق ٠٠ وأخشى الاختناق ان وضعوا لى مكتبا فى حجرة مغلقة ٠٠٠

ـ ما زلت حتى الآن بدون عمل ويخشى الاختناق٠٠أنا لا أخشى الاختناق وفى نفس الوقت أعمل ٠٠ وكان طول الوقت ينظر الى نقط الدم العالقة بالقميص ثم يتجاهلها حتى وهو يصافحه فى فتور ثم ينصرف ٠٠

ترك ميدان العتبة فى طريقه الى ميدان الأوبرا محاذيا سور الازبكية ، معتقدا أن هناك من يتبعه ويراقب حركته من مكان الحادث فى شارع كلوت ٠٠ كان الرقيب يتخفى متظاهرا بالاهتمام بقراءة عناوين الكتب على السور ومحاولة فض أغلفتها ، وسأله : هل يحب قراءة الكتب فأجابه بالنفى ، كان يرى أن الكتاب قد يملكون ذكاء نظريا وقدرة على الجدل وتصور الأحداث ، ولكنهم أغبياء فى الواقع لا يحسنون التصرف ويميلون الى السلبية ، لم يقل له هذا الرأى مفضلا أن يحتفظ به لنفسه ٠٠ ودخل الرجل فى جدل مع بائع كتب ، واستمر الجدل فترة طويلة لكنه انتهى الى لا شىء ومضى مشيعا بتعليق ساخر ، فاستراح لانه تخلص من هذا الرقيب ، وعاد يقطع نفس المسافة دون أن يعير الكتب أى اهتمام ، ورأى الرجال الذين كانوا يسيرون وظهورهم أمامه،رأى وجوههم، كانت العيون شاردة وحزينة تتحرك ببطء وتفحص الكتب بدقة ، وقبل نهاية السور وجد جاره منهمكا فى تقليب الكتب ، قرر أن يتحاشاه ويمضى مسرعا لكنه تنبه اليه ، صافحه وهو يتأمل ، فى دهشة ، نقط الدم على القميص ، من الغريب أن يسير انسان فى طرقات المدينة وعلى قميصه نقط دم ، حتى لو لم يكن هو المتسبب فى وجودها ، قد يظنه البعض مهزوما خرج لتوه من معركة ، أما الغالبية فتعتبره على الأقل جزارا وسفاح أطفال ، وفى مقهى قريب جلس مع جاره الذى أخبره بعثوره على قطة مخنوقة عند الباب الخارجى للعمارة،واتهم البواب بالاهمال ، والاعتكاف طول الوقت داخل حجرته المغلقة ، ولما سأله عن القصة التى قرأها ، أجابه قائلا :

ـ ان البطل العصرى فشل فى النهاية ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، كان فى مسدسه ست طلقات ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، ولكن ينبغى ألا نيأس سترى انى قادر على ادهاشهم وقتل تبلدهم ، سترى الليلة نتيجة ذلك عندما تعود الى شقتك ٠٠ ونظر الى نقط الدم على القميص وهو يقول مواصلا حديثه :
ـ لو أنى كتبت رواية جيدة ثم أحرقتها لما شعرت بأسف والنيران تأكلها وتلعق بقاياها بأطراف الألسنة ، أحس براحة لأنى أعددت وجبة طيبة للنيران ، فاذا تأججت وهى تحرق أوراقى تأكدت أنى طاه جيد ٠٠

وتذكر وهو يصافح جاره منصرفا ، منظر المحصل وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه : فى البداية حاول خنقى٠٠ وجدت

صدرى يضيق عنـدما حاول خنقى ·· ورأى السائق مقبـــلا أمامه وهو يقـول للركاب من خلال ابتسامته الغريبة :انى **أقصد تخويفهم فقط ·· آه ·· تخويفهم فقط ··**

وأضاءت أنوار النيون فى شارع فؤاد وبدأ الزحام ، فجلس على مقعد خشبى بحديقة الازبكية وأخذ يحدث نفسـه : لماذا لا أعود الآن ، لمـاذا أخاف العودة المبكرة ؟ لن اســـتلقى مرة أخرى على الفراش وأخضع لسلطان الاحلام ·

ورأى القطة المخنوقة تنام على كـوم زبالة أمام العمارة ، فعبر الباب الخارجى ووقف مترددا أمام حجرة البواب المغلقة وسأله عن أى خطاب وصل اليه،فأجابت زوجته من الداخل بالنفى وراحت تشكو له شقاوة الأولاد فى العمارة ، فبدأ يصعد السلم قبل أن تذكر شيئـــا عن القطة المخنوقة ، وعندئذ شعر بأقدام تتحرك خلفه ، كان هو نفس الرجل الذى قابله فى صباح اليوم ونفس الابتسامة الخجولة كانت هناك ، على شفتيه ، بلا معنى محدد، عندما قال له :

ـ سمعت صوتا نسائيا يصرخ وأنا أصعد السلم باحثا عن شقة الضابط ·· صوت نسائى أعقبه صوت رجل يتأوه ، كأنه يموت مودعا شيئا عزيزا عليه ·· والبواب نائم ·· ولم أعثر حتى الآن على شقةالضابط ·· رغم حضورى مرتين ·

تركه مواصلا الصـــعود ، كان باب الشقة المجاورة له مفتوحا ، وخط رفيع من الضوء يتسلل منه ، اقترب برأسه من الفرجة الضيقة للباب ، وجد الضوء خافتا فى الداخل ، ولذلك قدر أن أحدا لن يلحظ وجوده ·· رأى الزوجة واقفة وقد اعتمدت بيديها على ظهر أحد المقاعد الكبيرة ، رآها منهارة ، ولا بد أنها كانت ترتدى ملابس خفيفة ، لأن صوتها كان مرتعشـــا ، كانت تنطق حروفا متفرقة ولا تقوى على نطق الكلمة مرة واحدة ·

وشعر بالحيرة تغمـــره وهو واقف يتأملها ·

انه رآها يوما واشتهاها ، فهل أذنب لأنه أبدى هذه الرغبة ، بينه وبين نفسه ؟ هل أذنب حقا ؟ ومتى تكف الأوهام عن مطاردته فى كل مكان ، متى يكسر حلقة الحديد التى تحيط برقبتـــه ، يكسرها قبل أن تخنقه ··

عاد يتأمل الزوجـة ، كانت تتـــكلم وتتكلم دون أن تتلقى أى جواب ، ولم يكن هناك أثر لوجود زوجها فى الصالة كما لم يكن هناك أثر لصوته ·· كانت تحدث نفسها كأنها فى صلاة ··

وظل يتمشى فى حجـرته حتى دقت الساعة مرتين ، كان مصرا على الاحتفاظ بتمام وعيه ومغالبـــة الأوهام ·· ولم يسمع صرير المفاتيح فى الاقفـال ، ولا السعال الممزق تحت وقع الاقدام ، ولا صياح الديكة المزعوم ، فقال لنفسه :

ـ مهما كانت النتيجة فسـأخرج لهم عندما يأتون ·· سأخرج بنقط الدم على قميصى ·· واتحدى الجمـوع وعلى فمى ابتسامة هادئة ··

أحمد هاشم الشريف